المحاضرة الثانية

المقاول ومواصفاته

يُعدّ المقاول محور العملية المقاولاتية وروحها النابضة، فهو العنصر الذي يحوّل الأفكار إلى مشاريع واقعية تخلق القيمة وتُحرّك الاقتصاد. ولا يقوم دوره على رأس المال فحسب، بل على ما يمتلكه من قدرات فكرية وتنظيمية وتفاعلية تمكّنه من مواجهة التحديات وتحقيق التوازن بين المخاطرة والابتكار.

وفي السياق ذاته تتناول المحاضرة ماهية المقاول من حيث المفهوم والتطور التاريخي للمصطلح ثم تنتقل إلى بيان أبرز مواصفاته التي تشكّل جوهر شخصيته. مع التأكيد بأن فهم شخصية المقاول هو خطوة أساسية لفهم جوهر المقاولاتية الحديثة ودورها في خدمة المجتمع وتحريك عجلة الاقتصاد.

أولًا– مصطلح المقاول وتطوّره التاريخي:

تعدّدت المفاهيم التي تناولت مصطلح المقاول بين من يراه مغامرًا اقتصاديًا، أو مبدعًا اجتماعيًا، أو منسقًا للموارد، غير أنّ جوهر هذه الرؤى يجتمع في وصفه الفاعل الذي يبادر بالفكرة ويتحمّل المخاطرة لتحويلها إلى قيمة مضافة تخدم الاقتصاد والمجتمع.

وفي سياقٍ ذي صلة، فإنّ تعدد المفاهيم يشير إلى التطوّر التاريخي للمصطلح؛ ففي العصور الوسطى استخدم في فرنسا بمعنى الشخص الذي يشرف على مسؤولية ويتحمل أعباء مجموعة من الأفراد، ثم صار يدل على الفرد الجريء الذي يسعى إلى تحمل المخاطر الاقتصادية.

وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر كان المقاول يشير إلى من يتجه نحو أنشطة المضاربة أو يبرم عقدًا مع الملك لإنجاز بناء عمومي أو تمويل الجيش، ما يبرز ارتباط المصطلح بالالتزام والنشاط.

وقد عرّف القاموس العالمي للتجارة الصادر بباريس سنة 1723 المقاول بأنه "الذي يلتزم بعمل ما"، مثل قولنا "مقاول بناء أو معمل"، وهي دلالة تؤكد صفة الالتزام.

وفي الموسوعة الفرنسية لعام 1755 التي أعدّها ديدرو ودامبير، عُرِّف المقاول بأنه "الشخص الذي يتكفّل بإنجاز عمل ما."

كما ورد في قاموس اللغة الفرنسية لإيميل ليتري (1889) بأنه "الشخص الذي يلتزم بعملٍ محدد."

وفي العصر الحديث، يرى أغلب الباحثين لاسيما العرب أن المقاول فاعل اقتصادي واجتماعي يجمع بين روح المبادرة والابتكار والمسؤولية، ويسعى إلى استثمار الفرص المتاحة في بيئته المحلية لخلق قيمة اقتصادية ومجتمعية في آن واحد. فهو ليس مجرد مستثمر يبحث عن الربح، بل عنصر ديناميكي يشارك في التنمية، يوظّف الموارد بكفاءة ويتكيّف مع المتغيرات لتحقيق الاستدامة.

وقد عرّفته بعض الدراسات كما يلي:

– الشخص المبدع الذي يحرك عجلة النمو، حيث يعمل على إيجاد توليفات جديدة لوسائل الإنتاج التي قد تكون سلعًا أو خدمات أو مصادر تموين جديدة".

– الفرد الذي يمتلك القدرة على اكتشاف الفرص الاقتصادية واستغلالها في إطار مشروع منظم، بهدف تحقيق ربح مشروع والمساهمة في التنمية المحلية".

– الشخص الذي يملك فكرة مبتكرة ويتحمّل مسؤولية تحويلها إلى مشروع اقتصادي منتج، مستخدمًا ما لديه من موارد بشرية وتقنية لتحقيق أهدافه وأهداف المجتمع .

ثانيًا– مواصفات المقاول وخصائصه السلوكية:

تُعدّ شخصية المقاول من الشخصيات التي تجمع بين الفكر العملي والقدرة على التصرف الواعي في مختلف المواقف. فهو لا ينفعل بالظروف بقدر ما يتفاعل معها، مستعينًا بقدرات عقلية وتنظيمية تساعده على ضبط سير نشاطه وتحقيق التوازن بين الطموح والإمكان. وتتضافر في سلوكه مجموعة من الصفات التي تشكّل أساس نجاحه واستمراره في بيئة العمل المتحوّلة:

-**الطاقة والحركية:** يُظهر المقاول استعدادًا دائمًا لبذل الجهد والمتابعة الدقيقة لمشاريعه. فحركيته تنبع من رغبته في الإنجاز والتطوير المستمر، إذ تتطلب عملية إنشاء المؤسسة جهدًا ووقتًا وطاقة متواصلة.

- **الثقة بالنفس:** تتجلّى في قدرته على اتخاذ القرار بثبات، والاعتماد على ذاته في مواجهة الصعوبات. إنها ليست غرورًا، بل اتزانٌ قائمٌ على معرفة الإمكانات وحدودها، وتُعدّ سلوكًا محفّزًا لنشاطه التصوري والإدراكي، يجعله متفائلًا تجاه مشاريعه.

-**القدرة على احتواء الوقت:** يدرك المقاول أن الزمن عنصر حاسم في نجاح المشروع، فيحسن تنظيمه واستثماره دون إخلال بجودة الأداء أو دقّته.

- **القدرة على حلّ المشكلات:** يتميّز المقاول بالتفكير الهادئ والتحليل المتأني قبل اتخاذ القرارات. فهو واقعي في رؤيته، يسعى لتجاوز العقبات بأسلوب عملي ومنطقي.

- **تقبّل الفشل:** لا يرى المقاول في الفشل نهاية الطريق، بل مرحلةً من التعلم وإعادة التقييم. يتعامل معه بعقلية تطوير ومراجعة، لا بعقلية إحباط أو انسحاب.

-**قياس المخاطر:** يوازن بين الطموح والحذر، فلا يندفع دون دراسة ولا يتراجع خوفًا من الخسارة. فالمخاطرة عنده فعل محسوب يتطلّب تقديرًا عقلانيًا وتخطيطًا مدروسًا.

-**الابتكار والإبداع:** يميل إلى إيجاد الحلول بطرائق جديدة منسجمة مع حاجات السوق وظروف الواقع. فابتكاره ليس ترفًا فكريًا، بل وسيلة للتكيّف والتجدّد المستمر، مما يقتضي منه قدرًا من التحليل والاستنتاج والتطوير.